

The aesthetic formation of the image of war (The Novel of One Thousand and One Nights by Hani Al-Raheb as a model)

Dr. Fakher Maya*
Dr. Mohamed Marouche**
Dimah Mayhoop Ismaeel***

(Received 19 / 11 / 2022. Accepted 15 / 5 / 2023)

□ ABSTRACT □

The aesthetic sequence of the image of war
Hani Al Raheb's novel "A Thousand and Two Nights"
Each picture has its own aesthetic formation, which distinguishes it from others through
the energy it releases and that fascinates the recipient and draws him/her to follow its
dimensions with caution.
The war image is like other images that are embodied by forming an effect that goes
beyond the dimensions of the image itself to another image within the text.

Keywords: novel ,War, Image, Hani Al Rehab's

Copyright



:Tishreen University journal-Syria, The authors retain the
copyright under a CC BY-NC-SA 04

* Professor, Department of Arabic Language, Specialization: Modern Literature, Faculty of Arts,
Tishreen University, Lattakia, Syria

**Professor, Department of Arabic Language, Specialization: Modern Literature, Faculty of Arts,
Tishreen University - Lattakia, Syria.

**PhD student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen
University, Lattakia, Syria. Demah.esmaeel@tishreen.edu.sy

التشكيل الجمالي لصورة الحرب (رواية ألف ليلة وليلتان ل هاني الراهب أنموذجاً)

* د. فاخر ميا

** د. محمد مروشيه

*** ديما ميهوب إسماعيل

تاريخ الإيداع 19 / 11 / 2022. قبل للنشر في 15 / 5 / 2023

□ ملخص □

لكل صورة تشكيل جمالي خاص بها يميزها عن غيرها عبر الطاقة التي يطلقها، والتي تسحر المتلقي وتشدّه إلى متابعة - بحذر - أبعادها والصورة الحربية كغيرها من الصور تتجسد عبر تشكيل جماليّ تأثيري تتجاوز أبعاد الصورة ذاتها إلى صورة أخرى ضمن النص .

يدرس هذا البحث مقارنة التشكيل الجمالي لصورة الحرب الذي يعنى بقراءة التجليات التي تتجلى في تصوير الحرب متمثلة باشتغال المبدع بأدواته لخدمة التشكيل الجمالي لصورة الحرب وهذا ما يتجلى في عمل الروائي (هاني الراهب) التي حاول البحث قدر الإمكان دراستها دراسة وافية .

الكلمات المفتاحية: رواية - حرب - صورة - هاني الراهب .

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص



CC BY-NC-SA 04

* أستاذ ، قسم اللغة العربية، الاختصاص: الأدب الحديث، كلية الآداب ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية
**أستاذ ، قسم اللغة العربية، الاختصاص: الأدب الحديث، كلية الآداب ، جامعة تشرين - اللاذقية ، سورية.
*** طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية. Demah.esmaeel@tishreen.edu.sy

مقدمة

تعدّ صورة الحرب في الرواية وسيلةً للتشخيص والتعبير الفنّي والجمالي عن قضايا إنسانية خالدة، مثل: الحياة والموت، والحب والكراهية، والسعادة والشقاء، والسلم والحرب... ومن ثم، فهي طريقةٌ للتشكيل والتصوير والوصف، موادها البلاغة واللغة، ورؤيتها إنسانية محضّة، وغايتها الوظيفة الفنّية والجمالية، بمراعاة مجموعة من السياقات التي تحيط بالصورة من الداخل والخارج، مثل: السياق اللغوي، والسياق البلاغي، والسياق الذهني، والسياق النصي، والسياق النفسي والعاطفي.

وللوقوف على ملامح التشكيل الجمالي لصورة الحرب في الرواية العربيّة نقدّم الملخّص السردّي لرواية ألف ليلة وليلتان - هاني الزاهب المدروسة، والتي سلّطت الضوء على تجربة روائيةً سعياً لإغناء الدّراسة .

أهمية البحث وأهدافه:

تتبع أهمية البحث من خلال دراسته لبعض المشاكل الناشئة من الموضوعات الرئيسية التي تتضمن النص الروائي لما له من دقة في مجال النقد الأدبي، وتعدّ رواية الحرب المنفذ الرئيس للتعبير عن الاضطرابات والتغيرات النفسية والمجتمعية في مواجهة الضغوط الداخلية وما ينتابها من عنف واستلاب للإرادة، كما يهدف البحث الى التعمق في موضوع تجليات الحرب في رواية ألف ليلة وليلتان، وذلك من خلال التركيز على التشكيل الجمالي للصورة الروائية .

منهجية البحث:

لما كانت صورة الحرب في الرواية تعتمد على الثنائيات، واعتماد الأسئلة التي تثار حول علاقة الإنسان بوجوده وكونه، فقد آثرنا الاعتماد على المنهج الوصفي عبر مجموعة من السياقات الذهنية والنفسية والعاطفية، وإزاء هذه الحالة لا بدّ من طرح عدد من القضايا التي تسهم في ترتيب وإعادة الحياة الروائية العربيّة المعاصرة، فتحولات المجتمع ليست سوى ارتباط صحي يفرضه الواقع بكل تشكيلاته الاجتماعية الاقتصادية والثقافية والسياسية.

الملخّص السردّي للرواية:

ألف ليلة وليلتان - هاني الزاهب:

في زمن ما يفوقون كلّ حسب أجله... وفي رواية هاني الزاهب تتابع الشخصيات في ألف ليلة وليلة حكاياتها المتنوعة بليلتين هما ليلتا هذا الزمان، يوقظ هاني الزاهب الشخصيات النائمة في حضان القصص القديمة، يصادقها مع شخصيات الزمن الحاضر، وحكاياتها تغدو كالأساطير، يخلط الروائي الأزمنة في الرواية للإشارة إلى استمرار عالم ألف ليلة وليلة العربي خلال ألف سنة و سنة، ويبلغ هذا الاستمرار ذروته عام 1967 عبر هزيمة حضارية أزاحت العرب عن طرف الزمن ووضعتهم في الليلة الثانية بعد الألف.

نقد للتاريخ العربي في القرن العشرين، وصعود البورجوازية الصغيرة إلى السلطة في بداية الستينات، وإخفاقها في مهمتها لتحقيق التقدم والإصلاح. والأشخاص يمثلون هذه الطبقة الجديدة المسيطرة، ويظهرون غير قادرين على تلبية توقعات الشعب. فقد جرى تجميد الإصلاح الزراعي، وهيمن الفساد والمحاباة، واحتل الجنس الأولوية أمام الحب الحقيقي، وبقيت التقاليد الأكثر رجعية تحكم العلاقات الاجتماعية، وقد تأثرت المرأة بشكل خاص بهذه الأوضاع، وبقيت خاضعة لسلطة عائلتها التي ترى فيها سلعة للتبادل، وسلطة زوجها الذي يفرض عليها أن تخدمه بصورة عمياء. صحيح أن الفروق

الاجتماعية زالت، ولكن الانقسام القائم بين الأغنياء والفقراء ازداد اتساعاً. والمجتمع الاشتراكي التقدمي الموعود بقي بعيداً عن الواقع الممثل في الرواية: «إن اختلاط الأزمنة في الرواية مقصود به الإشارة إلى استمرار عالم ألف ليلة وليلة العربي خلال ألف سنة وسنة، وإن هذا الاستمرار بلغ ذروته عام 1967 عبر هزيمة حضارية أزاحت العرب عن هامش الزمن ووضعتهم في الليلة الثانية بعد الألف: وهذا الزمن الجديد الذي تنتهي الرواية ببدايته سيكون سداة رواية قادمة¹». يبرز في الرواية عنصر رئيسي وهو «النعاس» وحياة الناس منظمة فيه، كما هي الحال في الحياة الواقعية، بالتناوب بين النوم واليقظة، ولكن هذه اليقظة ليست إلا جسدية، فالواقع أن المجتمع العربي استكان إلى النعاس، ولن يستيقظ إلا بعد الهزيمة، حيث يقرر قسم من الأشخاص مغادرة عالم ألف ليلة وليلة ومعيشة حياتهم الخاصة. وتتنظم القصة حول فعل «أفاق» الذي يفتح الرواية، «في زمن ما يفوقون»، وكأن الأشخاص يعيشون في حالة من «النوم، التعب، لילה بدون صباح، نوم أبدي، الخدر الدائم»، وكأن الزمن قد توقف بالنسبة إليهم، وهم لا يفعلون إلا تكرار النماذج الماضية، غير قادرين على إيجاد حل للأزمات التي يجتازونها، فعالمهم لا يملك من الحداثة إلا المظاهر، فهو يتزين بالكلام الجميل، ولكن مساوي الماضي ما تزال مستمرة في القلوب، وهو متجمد في أساليب قديمة من التفكير، على غرار الزمن المتوقف، فالعالم تكبله التقاليد والديمقراطية الغائبة، وضيق هوامش الحرية بسبب الضغوط السياسية والعقائدية والفنية التي يخضع لها.

التشكيل الفكري لصورة الحرب :

كانت الرواية العربية من طلائع الفنون الأدبية التي أولت اهتمامها بالظاهرة السياسية التي مثلت التشكيل الفكري لصورة الحرب والتي كانت تأزماتها وتشنجاتها وليدة التغيرات التي شهدتها واقع المجتمع العربي، إذ «المجتمع لا يتضمن بنية ساكنة، وإنما هو عملية في حال من التكون للممارسات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية⁽²⁾»، فتحوّلات المجتمع تعكس تأثيرها على الجهاز السياسي في صورة انقلاب يهدد منظومة السلطة الحاكمة التي كثيراً ما تعمل على ردع التجاوزات والاضطرابات الناجمة عن التدهور والتشنج الاجتماعيين.

وبهذا، فإن ارتباط المنظومة السياسية بالمجتمع المدني، ما هو إلا ارتباط حتمي فرضه الواقع، تعبيراً عن حقيقة النظام العام للدولة بكل تشكيلاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية... وهي التشكيلات ذاتها التي ارتسمت معالمها في الخطاب الروائي العربي، فمن قضايا الثورة والنضال وأشكال التخلف والتراجع إلى مشاكل السياسة وأزمة الحريات والديمقراطية. تتبدى الظاهرة السياسية التي تماهت وتجليات الفعل الثوري بين ثنايا البنية السردية، انطلاقاً مما صاغه السارد من تشكيلات سياسية استظهرها في شكل صور مجتزأة من قلب الواقع السياسي إيداناً بميلاد واقع جديد، ذلك أن الأديب «يستوعب السياسة والاجتماع والاقتصاد في وحدة إيديولوجية كاملة، ولكنه يعود إلى صياغة العمل الفني في المستوى الذي يخاطب كينونة الإنسان في أغوارها العميقة³»، إذ بموجب هذا الاستيعاب يستثري النص الروائي خطابه كنصاً مثقل بالمحمولات الإيديولوجية المتنوعة.

¹ انظر: آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة (التحفيظ نموذجاً تطبيقياً) ، مراد عبد الرحمن مبروك ، الإسكندرية ، دار

الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، ط1، 2002، ص89

² الرواية المغاربية، "الجدلية التاريخية والواقع المعيش" (دراسة في بنية المضمون)، عباس إبراهيم، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص35.

³ غالي شكري ، الرواية العربية في رحلة العذاب، ص14.

استجلت المتون الروائية السردية في تشكيلها صورة الحرب الكثير من الوقائع التاريخية كبنية روائية أضحت التاريخ من خلالها بنية أساسية من لبنات البناء والتشكيل، لما أضفاه عليها من حيوية وتفاعل مع الأبعاد المعرفية، لا التسجيل العلمي الأمين الذي تضطلع به كتب التاريخ حول أحداث الحرب ، وإنما بالاستيعاب الواعي لمكان تلك المادة، قصد توظيفها توظيفاً فنياً جمالياً، يتفادى حرفية النقل المباشر ويحرق أغشية الرصد التقديسي لوقائعها التاريخية عبر الزمن.⁴

المحيط الاجتماعي :

في رواية "ألف ليلة وليلتان" لهاني الزاهب فتدين من خلال شخصية العقيد المثقف العربي الذي اكتفى قبل الحرب بالحماسة الفارغة، والثثرة الثورية. يقول العقيد وهو يلعب النرد: "العربي صبور. يتحمل. يملك أصالة الجمل في الصحراء. تحمّلنا إسرائيل عشرين سنة، والاستعمار الغربي مئة سنة، والعثمانيين أربع مئة سنة. لكننا هزمتنا الأعداء دائماً وسنهمهم"⁵.

إنّ المثقف البورجوازي الصغير -كما قدّمته الرواية الحزيرية- مثقف معزول وضائع، وتفصله هوة واسعة عن الناس ومصالحهم، وعن أمته وقضاياها، ولا يعرف عن بلاده أكثر ممّا يعرفه السائح. وإذا كان المجتمع هو المسؤول عن تعييب دور هذا المثقف، وعزلته وضياعه، فإن الباحث لا يستطيع أن يغفل ما لثقافته من دور كبير في عزلته وضياعه. إن "رمز الصفدي" مثقف فقد ثقته ببلاده، وبلاده فقدت ثقته به، وهو غير مخلص لبلاده، وبلاده غير مخلصه لكرامته وحرية، لأنه اختار السلامة والانعزال والاحتفاء والتغلق. ويكفي أن نذكر موقفاً واحداً له لندلّ على أنه مثقف معزول عن قضايا أمته ومشكلات بلاده، وهو رفضه المشاركة في المظاهرة ضد الحكومة الأميركية، في الوقت الذي قبلت فيه "باميليا" -وهي الأميركية- المشاركة⁽⁶⁾.

وهكذا نخلص إلى أنه "ليست بواعث العالم المتخلف هي التي وراء انحسار المد القومي فقط، وإنما كذلك المثقف والمدن والمدان، الراض والمرفوض، والذي يحيا الحياة الهيئية ولا يريد أن يضحى بها"⁽⁷⁾.

يكشف النسق السياسي المهيمن في "ألف ليلة وليلتان" إلى أي حد تشكل مرحلة الخمسينيات و الستينيات مرحلة أساسية في تشكل وهيمنة الدولة التسلطية القائمة على هيمنة مفهوم الواحد. فهي دولة ، وبارتكاها على العنف السياسي تكبل إرادة الفرد و تقزم دوره في المساهمة التاريخية لخلق وتجديد الإمكانيات الوجودية للمجتمع الذي يترعرع فيه و ينمو ذاتيا و تاريخيا ، ومن بؤرة العنف السياسي و النفعية السياسية تتولد علاقات اجتماعية وأخلاقية تعتمد كما هو واضح من خلال البرامج السردية وخاصة برنامج عباس السريدي على النفعية و الوساطة التي لا تحترم كفاءة الفرد في علاقته بالمجتمع⁸.

يغوص الراوي في أعماق الشخص سابرا أغوارها و مفككا بنيتها السيكولوجية والاجتماعية بغية تتبع مسارها الوجودي كشخص في إطار تاريخي اتسم بانهايار الحكم المدني ، وفي هذا الغوص، و التأرخة ، يرسم هاني الزاهب بورتريه لأنماط سوسولوجيا Types sociologiques كما هو الشأن عند بلزاك و إميل زولا و ناتجا لعلاقات القائمة

⁴ بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970 - 1986)، بشير بو بجرة محمد ، دار الغرب والنشر و التوزيع ، ط2001-

2002، ج2، ص193

⁵ ألف ليلة وليلة ، ص271

⁽⁶⁾ انظر ،في دلالية القصص وشعرية السرد ، ساميسويدان ، دار الآداب ، بيروت ط1، 1991. ص50.

⁽⁷⁾ الاتجاه القومي في الرواية، مرجع سابق ص186.

⁸ انظر : المتخيل و المرجع ، شعيب حليفي ، سيرورة الخطابات، فصول ، ع66، 2005. ص163

بين هذه الشخصيات الأنماط تعبير عن علاقات كانت في العمق مهيمنة على مجتمع ما قبل 1967، فالسلطة التي توجه وتسخر البرامج السردية في مجتمع ما قبل الهزيمة ، ولتضمن صيرورتها وتعيد إنتاج نفسها بنفسها، لا بد لها، من نسق علائقي قيمى يضمن لها هذه الصيرورة. وهو ما تكشف عنه البنية العلائقية القائمة على النفعية و الوساطة . تتحول السلطة التي تمتلك إلى أداة لتطويع الفرد وجعله يلهث م نوراثة التحقق له مآربه ، فشعوره بالاغتراب المولد للخوف من المصير يدفعه للبحث عن الوساطة التي تحقق له مآربه (النفعية). تتأله السلطة لتتحول إلى مركز جذب موروث بواسطته يتحقق المطلوب بعيدا عن الشرعية القانونية والانضباط لناموس القانون . وقلنا بكون السلطة هي مركز جذب موروث يؤول إلى أطروحة هاني الراهب السياسية فعلى لسان علي - بعد مشهد الحب مع غادة زوجة نواف هذا الرجل العربي البطريركي- يقول الراوي: " في أعماق كل واحد منا كائنات ، واحد عبد والثاني طاغية . وهذا طبيعى طالما أن وطننا لم يفتح عينيه منذ ألف عام على مؤسسة ديمقراطية واحدة إذا احتجنا لأحد تزلفنا له واستعنا بالوساطة ، وإذا احتاج لنا ننتفخ بالخيلاء و نعامله كأن شرايين قلبه تحت رحمة سكيننا الحادة . نحن لا نحترم القلب الإنسانى و لا الحاجة الإنسانية أشواقنا مدعوسة بالأحذية وصبواتنا مسيجة بألف قانون تمنع تلبيتها ، وإذا لبيت تلبى بطريقة لصوصيه محدودة الرضى.⁹

يستطيع القارئ أن يتبين نمط العلاقات الذي كان مهيمناً في مجتمع ما قبل 1967 من خلال شخصية عباس المحافظ، هذا المناضل الذي كان ، وكما سلف الذكر ، يخرج إلى الشوارع مع الطلاب ليهتف بسقوط الديكتاتورية العسكرية و الذي بمجرد أن وضع نجمتين على كتفي سترته الخاكي أحسب من كبيه يزحمان السماء ، متحولاً إلى رمز سلطوي يحقق كوساطة مآرب الناس ، ويحلل الراوي مساره السردى كاشفاً عن حقيقته وتطلعاته البرجوازية¹⁰ وهكذا وعندما يدق باب منزل عباس الفاره الفخم يفتح علي الباب ثم يقتحمه شخصان (فلاحان) ، فيصف الراوي حالهما قائلاً: "يقرع الباب يفتحه علي ويرحب بالقادمين: قامتان متوسطتا الطول هبطتا ضمن شروالين وصدارين وشاب يرتدي بنطالا رثا وقميصا مشرباً لياقة يدخلون إلى غرفة الضيوف وأعينهم تجوس فيها برهبة و اضمحلال". أما عباس ، وأمام ارتباكهم الواضح المتغلغل في ودهم المكتوم ، فتحدق إليهم عيناها بإحساس شخصي بالمهانة وبعد هذا المشهد يحمم أبو فهد مطرقاً قائلاً: "والله يا أبو لؤي ، جنناك خجلانين .. الله يلعن الحاجة كم تذلل ابن آدم . ويتابع أبو فهد قائلاً : " لم يعد الزمان زمانا أبو لؤي والظروف شددت الحبل على رقابنا صار الشباب يركضون وراء الوظيفة ويتركون الأرض صار بدهم البدلات و الكرفات و عندنا هالولد ، فهد ، تعرفه رفضوا تشغيله هذه السنة في المدرسة وأنت تعرف الحال ، يد من خلف ويد من قدام ، مائة وعشرون ليرة الله لا يكسرك، كانت تشيلنا وقلنا ليس لنا إلا أبو لؤي"¹¹ ، وأمام اللجوء إلى السلطة (فيشخص عباس) ينهض عباس بسرعة يكتب رسالة إلى مدير التربية ويوقعها بعناية يضعها في المغلف ويناولها أبا فهد : "سلم على الأستاذ فاضل وقلله سأزوره بعد عشرة ،خمسة عشرة يوماً:¹² وإذا كان الدكتور خلدون حسن النقيب يرى بأن الصيرورة السياسية للدولة العربية قد أفرزت تحولات سياسية تقودها طبقة مهيمنة جديدة في أوائل الخمسينيات والستينيات فلأن ذلك مرده لصعود الطبقة المتوسطة التي، وبمساعدة العسكر، حاول القضاء على الطبقة الإقطاعية ، لتثبيت معالمها السياسية و الاقتصادية ، وتشخص خاتمة اللقاء مع أبو فهد تعبيراً عن بدايات محاولة

⁹ألف ليلو و ليلتان ، ص 257

¹⁰جهاد عطا نعيصة ، في مشكلات السرد الروائي ، ص 67 .

¹¹ألف ليلة و ليلتان ، هاني الزاهب، ص 24،

¹²ألف ليلة و ليلتان ، هاني الزاهب ، ص 25،

الطبقة المتوسطة لتسلق هرمية النسق السياسي وهي تخوض صراعاً مع الطبقة القديمة : يقول الراوي عندئذ يسمعون دقة واحدة من أصبع خلف زجاج الباب الداخلي ومن جديد يلهج أبو فهد الفلاح بالثناء وبتلعثم بالاعتذار ملخصاً وبشكل غير مباشر هذه البدايات التي يحلها سياسياً الدكتور حسن النقيب من قبل يا أبو لؤي كنا نأتي للأفندي نطلب وساطة يحتقرنا ويهيننا ويطلب منا ثمناً لكل شيء الآن نشكر الله صار واحدنا يطلب حاجته بغير ذل . وأنتم لا تطلبون ثمن شيء . نشكر الله . الله يطول عمر الحكومة ،¹³ والحال أن النفعية والوساطة القائمة بينك لا الطرفين لا يمكن فهمها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة التبادل القائم بين عباس (رمز الطبقة المتوسطة) و أبو فهد (رمز الفلاح المستغل) : وهو تبادل دائري أساسه المصلحة والنفعية : يوظف عباس فهذا مقابل غاية ألا وهي استدراج أمثاله من الفلاحين الفقراء لانتخابه للدفاع عن مصلحة الفلاحين ، وهو دفاع في واقع الأمر عن مصالحه.¹⁴

وإذا كانت الوساطة تختصر في ذهنية الفلاح في رواية "ألف ليلة وليلتان" ، في تحقيق بعض المتطلبات الحياتية المرتبطة برزقهم ، فإنها تختصر في ذهنية "طلعت بك" الإقطاعي فيما هو أهم ألا وهو تحقيق المصلحة المادية ، وهو ما يكشف عنه الراوي عندما يسلم "طلعت بك" لعباس مبلغ خمسون ألف ليرة بغية الكشف عن مخطط تجميل قرية عاكوبة ، القرية التي فوضت عباس ليحقق لها مصالحها ، يقول الراوي: "تصمت شهرزاد عن الكلام المباح ، ليس لأن الصباح ، أدركها، وإنما البغته أمام عيني عباس ، تتراقص الأوراق بالمعنى الحرفي ، ويغدو وهو عباساً فقط ، يحس أن البذلة قد سلت عن جسده (...). أي انفع ليظهره المحافظ سيعمل ضده ، أية ذكرى تظهر على وجهه عن الحفاء والعري والجوع ، وروت البقر ، ستشي بذلك الضعف الذي لا يقهر، الضعف الخفي المرصود في قلب الفلاح كاطلمس ، لم ينس بعد أن قرينته كلها لا تساوي خمسين ألفاً ، كيف يستطيع¹⁵ .

إلا أن ما يثير الانتباه في هذا التبادل المبني على النفعية والوساطة في مجتمع ما قبل 1967 هو منطق التناقض الذي يطبع مجتمع "ألف ليلة وليلتان" .¹⁶

يمكننا القول إن العلاقة القائمة بين (عباس) و"طلعت بك" ترتكز على بنية عميقة تكشف - على مستوى السطح - عن علاقات التناقض السائدة في مجتمع ما قبل 1967، وهي علاقة تحرم في الظاهر ما تحله في الخفاء كيف يتم ذلك؟ فطلعت بك وللاستحواذ على مشروع مخطط تجميل قرية عاكوبة ، ينهج أسلوباً للحصول على مبتغاه، وهكذا وبعد أن يصل عباس إلى بيت طلعت بك يعمد هذا الأخير إلى دخول الحمام ، وقبل دخوله يخاطب عباساً قائلاً : "أنا أرمي لك الطاعة ، أنا يا أخي تعبان ، وإذا سمحت لي سأغير ثيابي وأدخل الحمام ، عشرون دقيقة وأكون عندك معير الساعة"¹⁷ ثم ينتقل الراوي إلى عباس وغادة ليصفحا لهما قائلاً: "وينسحب (أي طلعت بك) يشعل عباس سيجارة وعبر الدخان يبتسم لابتسامه غادة الحنون يقول: "أنا جائع متى تطعموننا؟" تميل رأسها بالتلبية تزيد ابتسامتها: "الخدمة تهيب كل شيء لا يهكم طلعت بك يعرف أن بيننا وبين الأكل ساعة ، ألا ترمي معطفك". وبعد اللقاء الجنسي يقول :

¹³ ألف ليلة وليلتان ، ص 24

¹⁴ الرواية المغاربية، "الجدلية التاريخية و الواقع المعيش" (دراسة فيبنية المضمون) ، عباس إبراهيم ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع ، د. ط ، د. ت. ص 35

¹⁵ ألف ليلة وليلتان ، ص 174

¹⁶ انظر : السرد و التمثيل السرد في الرواية العربية المعاصرة " بحث في تقنيات السرد و وظائفه " ، عبد الله إبراهيم ، علامات ، ع 16 ، 2001 ص 62.

¹⁷ ألف ليلة وليلتان ، هاني الزاهب ، ص 168 ،

“لها وهما يسويان من ثيابهما: “متى أراك؟” لا أدري “ كيف؟” وقت أريد ، لا تكون حاضرا إذا لم تكن حاضرا ضاع كل شيء”.

وما الضياع الذي تعبر عنه عادة سوى إشارة وجودية لضياع القيم الأصيلة مع الطبقة المالكة العربية في مجتمع ما قبل 1967، ضياع يعبر أيضا عن خصاء البرجوازية العربية ، وسقوط وهم البرجوازية الوطنية التي كانت الإيديولوجية القومية –تحت رعاية الطبقة المتوسطة و العسكر – تسعى نحو تنبئته، “إن طلعت به –كما يقول الراوي- لا يهمهما بين فخدي امرأته لقد ارتاب في التسهيلات¹⁸ ، وهي تسهيلات بناء على التبادل القائم بينه وبين عباس تحمل شحنة دلالية عميقة تلخصها المعادلة التالية (المال + الجنس = المصالح)، ما يهم إذن،¹⁹ هو أن عباس يقيم في الخفاء علاقة جنسية محرمة (يجب لا فعلها) مع زوجة طلعت بك لكنها مثمرة تتيح ما هو محرم من أجل المصلحة (= المال) ، تحت رعاية السلطة على جميع المستويات ، وعندما يضع طلعت بك خمسون ألف ليرة أمام عباس ، يهدده هذا الأخير بالزج به في السجن ، إلا أن ظن طلعت بك كان خاطئا يقول: “يا عيني عليك ”يهتف طلعت بك كنت دائما أقول إنك رجل دولة ، على الأخص بواقعتك و علميتك”. يقهقه عباس فهقه عريضة ، ليس للإطراء بل للظن الذي خاب في ذهن طلعت بأن جليسه يتناول النقود مرتبكا تحت وطأة الشعور بالعار كان ظنا سخيفا مضحكا مبعثه نقص في الإدراك طلعت بك، ظن أن المحافظ سيأخذ النقود مثل الضمير: وبالتالي يهبط إلى مستوى أخلاقي أدنى ، لقد دخلت الكرة في مرمى زوج عادة : ارتفعت النقود عن الطاولة ببرودة وبلا مبالاة واستقرت في محفظة المحافظ.²⁰

تتحول رواية “ألف ليلة وليلتان” إذن ، بنسقتها السياسي والقيم إلى رواية الما قبل بامتياز، فإذا كانت السيميائيات ترى بأن كل فعل (سواء أكان معرفيا أو عمليا) يتكون من مراحل ثلاث .

جمالية التشكيل النفسي والعاطفي :

وهو التحفيز الذي يعنى بالمحقرات الحكائيّة للدلالة النفسيّة في الروايات خاصّة أنّ رواية تيار الوعي ترتبط بالقصة الشعوريّة من خلال سعي الشخصية إلى إخراج مكونات نفسها عبر مونولوجها الداخلي ، ومناجاتها الشخصية و استنبطاناتها .

تولد الحرب في نفسية السارد الرئيسي مستويات مختلفة من الخوف:

- الخوف بالحدس، أو الخوف الفطري.
- الخوف دون معرفة السبب، أو دون معرفة مصدر الخوف نفسه.
- الرعب كدرجة قصوى للخوف.
- التوهم.
- الهلوسة.
- الهذيان.
- الإيمان بحتمية الموت والشك المطلق في الحياة.

¹⁸ ألف ليلة و ليلتان ، هاني الزاهب ، ص 167،

¹⁹. انظر : قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ دراسة تحليلية لأصولها الفكرية و الجمالية ، د . نبيل راغب ، الهيئة المصرية العامة

للكتاب ، 1988م . ص54

²⁰ ألف ليلة و ليلتان، هاني الزاهب، ص176

الخوف شعور ملازم للحرب، إحساس طبيعي يلزم السارد، فإذا غاب عنه، اندهش واستغرب وأحس كأن شيئاً ما ينقصه.²¹

الخوف درجات ومراتب، إذا بلغ ذروته تماهى مع الهذيان والحمى وامتزاج الحقيقة بالوهم، فتطغى على ذهن الشخصية التخيلات والاستيهامات.

قمة الخوف، هي انعدام الخوف ذاته. حالة تنتاب السارد كلما أيقن من موته الوشيك، إذ لا إحساس مع انتفاء الحياة. لكن الخوف ليس هو ذلك الشعور السلبي دائماً. ليس تلك الهشاشة التي لا يحبها أحد. لأنه ينجي من المهالك أحياناً على رأي المثل: من خاف، نجا. فالسارد، وهو واقف لصق حائط ينتظر قتله رمياً بالرصاص، يسقط من فزعه المفرط قبل أن تخرق النيران جسده، فتغطيه أجسام الآخرين، أو بالأحرى جثثهم، وينجو من الموت بمعجزة لا تليق سوى بنبي. معجزة اسمها الخوف فقط.²²

وفي رواية " ألف ليلة وليلتان " (23) لهاني الراهب فتدين من خلال شخصية العقيد المثقف العربي الذي اكتفى قبل الحرب بالحماسة الفارغة، والثرثرة الثورية. يقول العقيد وهو يلعب النرد: "العربي صبور. يتحمل. يملك أصالة الجمل في الصحراء. تحمّلنا إسرائيل عشرين سنة، والاستعمار الغربي مئة سنة، والعثمانيين أربعمئة سنة. لكننا هزمنا الأعداء دائماً و سنهزمهم" (24).

صور هاني الراهب في روايته "ألف ليلة وليلتان" شخصية المثقف الانتهازي المتستر بالثورة، وأوضح أن هذه الشخصية تستغل الثورة وتتستر بها لتحقيق مصالحها الشخصية.

لقد كان "عباس" يخرج -في السنة الأخيرة من دراسته- مع الطلاب إلى الشوارع ليهنف بسقوط الديكتاتورية العسكرية، وكان يرفض إنهاء المظاهرة إلا معتقلاً أو مبحوح الصوت. وإذا ظفر بكلا الاعتقال والبحة أحس أن وساماً يخطف الأبصار قد تعلق على صدره، وكان العالم بالنسبة إلى عباس زلزلة رطبة مظلمة تفوق قصور الخلفاء جمالاً وعزاً.²⁵ تسلم "عباس" -بعد قيام الثورة -منصب محافظ، وكُفّ بمهمة توعية الفلاحين في إحدى القرى النائية. وقد أظهر من خلال خطابه الذي ألقاه على الفلاحين أنه يحب الفلاحين، ويقدر جهودهم، ويعتبرهم لحمة الثورة وسداها، تستمد الثورة من وجودهم وجودها، ومن تحقيق أمانهم استمرارها.

ويحث "عباس" الفلاحين على ضرورة الانتظام في اتحادات نقابية، لأن الطبقة الكادحة لا يجوز أن تبقى بدون تنظيم يفجر طاقتها، ويرفعها إلى مقارعة الإمبريالية والاستعمار الاستيطاني.

ويدرك "عباس" العلاقة القائمة بين الثورة والفلاحين، فيطلب من الفلاحين أن يكونوا العين الساهرة على حماية الثورة، ومراقبة المسؤولين، وتصحيح أخطائهم، ثم يجيب عن كل أسئلة الفلاحين، ويعددهم بأن تذلل الثورة كل العقبات التي تقف في طريقهم، وتضرب بيد من حديد المستغلين والمتلاعبين بأرزاق الشعب (26).

²¹ انظر: دراسات في الأدب، د. خليل موسى، دار القلم، بيروت، ط1، 2001م، ص96

²² آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة (التحفيظ نموذجاً تطبيقياً)، مراد عبد الرحمن مبروك، الإسكندرية، دار الوفاء لعالم

الطباعة والنشر، ط1، 2002. ص87

²³ ألف ليلة وليلتان، ص253

²⁴ ألف ليلة وليلتان، ص271.

²⁵ بنية النصّ السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991 م. ص56

²⁶ انظر ألف ليلة وليلتان ص114-119.

ولكن الأحداث كشفت عن خيانة "عباس" للفلاحين وللثورة، عندما قيل أن يُطلع الإقطاعي "طلعت بك" على مخطط التجميل لقرية "عاكوبة"، لقاء حصوله على جسد "غادة" زوجة "طلعت بك"، وخمسين ألف ليرة سورية. وقد برّر "عباس" فعلته بأن "الثورة سوف تستأصل أمعاء (طلعت بك) في المآل، تجرده من كل فلس وعقار تمنعه من أن يكسب قرشاً واحداً لا يعمل لأجله بعرقه، تصادر أبنيتّه مثلما صادرت أرضه وتوزعها على الفلاحين الذي سيبيعون أرضهم طمعاً في كسب عابر وسريع. هذه الخمسون ألفاً دفعة على الحساب. بعد قليل تعود الثورة فتؤمّم الأرض والعقارات، وتعيدها إلى أصحابها الأصليين الكادحين، وعندها سيضحك هو والفلاحون على طلعت بك، هذا البهلوان الذي خانته زوجته وهو في الحمام. وسيعرف هو والبكوات الآخرون أي منقلب ينقلبون"⁽²⁷⁾.

خاتمة:

عرضنا لرواية " ألف ليلة وليلتان " ل هاني الزاهب التي اتخذت من الحرب موضوعاً لها ، ووجدنا أنّ رواية الحرب تجسّد السقوط بكلّ أبعاده ، تسقط الألقعة تبعاً في كلّ ليلة من ليالي الحرب التي تعيشها الشخصيات وتتفاعل معها تبعاً للمحيط الاجتماعي والبعد العاطفي لكلّ شخصيّة ، ليتجلّى مضمون الشخصيّة وأدعائه الكاذب بالوطنية ، أو ثبات شخصيات أخرى على مواقفها الوطنية الثابتة ، وزيف الشكّل الذي تجلبب به من فكر وثقافة وأدب يعكس الواقع الحياتي المعاش بنتناقضاته السياسيّة والاجتماعيّة المتجسّد بالقوى المتناحرة على السّلطة .

وضع الروائيّ كلّ أدواته في خدمة التشكيل الجمالي للصورة الروائيّة للحرب، إذ دفع بالأحداث إلى حيث تفيد هندسيّة الصّورة وقدرتها على تشكيل وعي المتلقّي بالحرب، ووجدنا استحضاراً للفنون من شعرٍ وموسيقا وغيرها ممّا جعل صورة الحرب متكاملة، كما عرضت واقع الإنسان العربي وتفاعلاته الذهنيّة والسلوكيّة والعاطفيّة.

برزت في الرواية فواصل سياسيّة واجتماعيّة متنازعة من الواقع الحياتي الذي يصوره الروائيّ تبدو كثوابت مقبّنة رغم كلّ المتحرّكات في الرواية تحمل إلى النفس الحزن واليأس فقد كانت الهزيمة من العنف بحيث هزت الوجدان الروائي بعنف شديد، فجاءت استجابته المتأخرة استجابة عاطفية أكثر منها عقلية، ولم تستطع الرواية الخروج برؤية إيجابية لما حدث"⁽²⁸⁾.

الحرب كانت المطهر للإنسان العربي؛ فصوّرت شخصيات مثقفة غسلت الحرب أعماقها وعقولها، بعد أن هزّت وجدانها ووجودها، وبدت بعد الحرب -كأنها ولدت من جديد. وقد اتّجه أغلب هذه الشخصيات إلى العمل الفدائي كحل للأزمة، وكمحاوله للخروج من المأزق.

ظهرت استعانة الروائي في روايته بالوصف المتداخل بالسرد، وبرزت ألفاظ العربي ومصطلحاته في رواية الحرب، ولعلّ النتائج السلبية لهذه الحرب على الوعي العربي ظلت مسيطرة على فضاء الرواية مما أكسب الألفاظ سلبية تأصلت داخل نفوس الشخصيات التي حل في عروقها دماء ثقافة تنسم بالعنف والظلم والقسوة، وهو ما انعكس سلباً على علاقات الشخصيات مع بعضها.

(27) انظر ألف ليلة وليلتان ص175.

(28) الاتجاه القومي في الرواية، مصطفى عبد الغني، 1994 -عالم المعرفة، العدد 188، ص174.

المصادر و المراجع :

1. بشير بويجرا محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970-1986)، دار الغرب والنشر والتوزيع، ط1-2001-2002، ج2.
- Bashir bouijra Muhammad , the structure of time in discirse of the al gerian novelist(1986-1970),dar al-gharb,pubishing and distribution, edition1,2001-2002, part 2.
- 2-د.جهد عطا نعيسة ، في مشكلات السرد الروائي ، اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، 2001م.
- dr. jihad atta On the narrative problems of the novelist , naissa arab writers union Damascus ,2001ad.
- 3-حميد لحمداني، بنية النصّ السردّي من منظور التّقدّ الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991 م.
- Hamid alhamadani , the structure of the narrative text from the perspective of literary criticism, arab cultural center Beirut, edition1,1991.
- 4-د. خليل الموسى، دراسات في الأدب، دار القلم، بيروت، ط1، 2001م.
- Da .khilal -Musa , Studies in Literature , , Dar al-Qalam ,Beirut ,Edition 1 , 2001ad.
- 5-سامي سويدان ، في دلالية القصص وشعرية السرد، دار الآداب، بيروت ط1 ، 1991م.
- sami suwaidan , In the evidence of stories and poetics of narration , dar al-adab, Beirut, edition 1, 1991ad.
- 6-شعيب حليفي، المتخيل والمرجع، سيرورة الخطابات، فصول، ع66، 2005.
- shuaib halifi , the imaginary and reference , the process of discourses chapters issue 66, 2005 ad.
- 7-عباس إبراهيم، الرواية المغاربية، "الجدلية التاريخية والواقع المعيش" (دراسة في بنية المضمون)، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.
- Abbas Ibrahim , the Maghreb novel , historical dialectic and lived reality, astudy in the structure of content publicature of ahe national foundation for communication , publishing and distribution without edition, without history.
- 8-عبد الله إبراهيم، السرد والتمثيل السردّي في الرواية العربية المعاصرة "بحث في تقنيات السرد ووظائفه"، علامات، ع16، 2001م.
- Abdullah Ibrahim , Narration and narrative representation in the contemporary Arabic novel , aresearch in narrative techniques and functions alamas, number 16, 2001ad.
- 9-عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردّي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية: "زقاق المدق")، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1995.
- Abdel-Mortad ALgeria, narrative discourse analysis (acomplex semiotic deconstruction treatment for al-madeq alleynovel),University publications office,without edition,1995.
- 10-غالي شكري، الرواية العربية في رحلة العذاب، دار المعارف، القاهرة، 1998.
- ghali shukri , The Arabic novel in the journey of torment dar al maaref, cairo , 1998 .
- 11-مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة، 1994- العدد 188.
- MustafaAbdel-ghani, the nationalist trend the novel, the world of knowledge, 1994-issae188.

- 12- مراد عبد الرحمن مبروك، آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة (التحفيز نموذجا تطبيقيا)، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2002.
- Murad- abdel Rahmanmabrouk , the mechanisms of the formal approach criticizing the contemporang Arabic novel (motivaionas an applied model) elexandn,adar awafa al-duny a printing and publishing, edition1, 2002 .
- 13- د. نبيل راغب، قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ دراسة تحليلية لأصولها الفكرية والجمالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.
- Dr.nabil ragheb, the case of the artistic form for naguib Mahfouz, an analytical study of its intellectual and aesthetic origins, the egyptain general book organization, 1988ad.
- 14- هاني الراهب، ألف ليلة وليلتان، دار الآداب، بيروت، 1977.
- Hani Al Rehab ,one thousand and two nights, Dar Al-adab, Beirut ,1977.